التخطيطُ السـَّويّ في مواجهةِ ظاهرةِ الضَّعفِ اللُّغويّ

أ.د. يوسف خلف محل

الجامعة العراقية - كلية الآداب

مستخلص

يقعُ هذا البحث في المحور الثالث الموسوم (الواقع اللغوي في العملية التعليمية وأبحاث غير المختصين بها) من مؤتمر قسم اللغة العربية (مستقبل العربية وظاهرة الضعف اللغوي المشاهدات التحديات المقترحات)

جاء هذا البحث متصلاً بسلسلة من الأعمال العلمية التي ترصدُ هذه الظاهرة (الضعف اللغـــوي) فـــي مختلف بلدان العربية، التي يصدق في وصفها قول الدكتور محمود محمد الطّناحي –رحمه الله–: «لم يعد خافيًـــا على أحدٍ ذلك التدني الذي وصل إليه خريجو أقسام اللغة العَرَبيَّة في جامعاتنا خلال العقود الأخيرة...».

لذا جاء هذا البحث يرصدُ هذه الظاهرة بعنوان (التخطيط السوي في مواجهة ظاهرة الضَّعف اللغوي)، والباعثُ على هذا البحث أُمور، منها:

١- رصد هذه الظاهرة، وبيان جذورها العلميّة.

٢- المشاركة في وضع تصورٍ يضعُ الحلول القريبة من طالب العربية.

٣- الإفادة من تجارب الباحثين في مواجهة ظاهرة الضعف.

وقد جاء في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المبحث الأول: الضَّعف اللغوي في العملية التعليمية.

المبحث الثاني: مواجهة الضَّعف اللغوي.

الخاتمة: وفيها أهم الاقتراحات والتوصيات، منها:

١. الأخذ بمبدأ التدرج بالتدريس، والعناية بالطالب الضعيف.

٢. العناية بالكتاب المقرر من حيث تقريبه وكشف مشكله، وإثراء موضوعاته بالتطبيق العملي.

٣. يجب أن تتكامل المقررات، لتكوين الملكة اللغوية لدى الطالب، والإفادة من مقررات معينة، مثل: النصوص التطبيقية، والكتاب القديم.

٤. الاهتمام بالأبيات الشعرية ذات المعنى الرائق، وذلك لأن غالب الأبيات الموجودة في الكتب النحوية أساس اختيارها الاستشهاد النحوي، وههنا تنبغي التفرقة بين المثال والشاهد.

٥. الاهتمام بالوسائل التعليمية المختلفة، المعتادة والحديثة، لا سيما البرامج التعليمية المحوسبة، والكتاب الالكتروني، والمواقع اللغوية والأدبية، ووسائل التواصل الاجتماعي.

المقدمة

الحمدُ لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، وبعد:

فإنَّ الله –سبحانه– قيَّض لهذا اللسان أَجيالاً من العُلماء، فصانوا اللغة العَرَبيَّة، ووضعوا لها القواعد طوال هذه القرون، وأَقامَتْ ألسنةَ الناطقين بها على سننها، وكانوا يعملون بهداية الله وحفظه، فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[١]، فحفظُ لغته من لوازمِ حفظه.

وهذا لا يجعلنا أنْ نُردد بإعجاب دون عملٍ أنَّ لغتنا مصونة موفورة، ولا تحتاج الى جهود أبنائها. بل علينا جميعًا تهيئة الوسائل لحفظها، وردّ كيد الأعداء عنها، وهكذا كان أهلها على مرِّ العصور.

ومع انحسار الأُميِّة، وشيوع التعليم، وانتشار المعاهد والكليات والجامعات، نجد الصيحات –في العالم العربي– تزداد يوما بعد يوم من ظاهرة خطيرة، وهي "الضعف اللغوي".

فإذا ما وازنَّا حال التلميذ العربي بحال غيره من الأُمم فإنَّنا سنجد فارقًا واسعا، فـ«التلميذ العربي عليه أن يتعلّم المعرفة ولغة المعرفة في آنٍ واحد، وزاد الأمر سوءا أنَّ لغة التواصل العادي، ولغة شرح المواد العلمية جميعها هي اللهجة العاميّة (الدَّارجة)، وأنَّ الطالب لا يُمارس الفُصحى إلَّا عندما يقرأ أو يكتب»[٢].

ويقول الدكتور محمود محمد الطّناحي –رحمه الله–: «لم يعد خافيا على أحدٍ ذلك التدني الذي وصل إليه خريجو أقسام اللغة العَرَبيَّة في جامعاتنا خلال العقود الأخيرة...»[٣].

ومن طريف القول إنَّ علماء العربية من زمنٍ بعيد نبَّهوا إلى مداخل الخلل التي تسربت على طُلَّاب هذه اللغة الشريفة، فهذا ابن هشام يُنبّه قارئه قائلاً: «وقد بلغني أنَّ بعض من يدعي الفضل سأل في ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾ [٤] فقال: ما هذا الاستثناء أمتصل أم منقطع؟»[٥]، وعقَّب شارح (المُغني) الدَّماميني، قائلاً: «قلتُ: وكان ينبغي أنْ يُجاب: بأنَّ الاستثناء الذي تخيلته، متصلٌ بالجهل، ومنقطع عن الفضل»[٦].

فحرص العُلماء على العربية هو حرصٌ على العقل والبناء، يقول ابن السرَّاج الشنتريني، مُعقِّبًا على الأثر (تفقَّهوا في العربية فإنها تزيد في العقل، وتثبت المروءة): «وحسبك

بهذا شرفاً وجلالة؛ لأنَّ العقل أشرف ما في الإنسان؛ إذ به يتميز على سائر الحيوان، وإذا كان هذا العلم يزيد فيه ويُنميه، فمن الواجب على كلِّ ذي لُبٍّ أن يبذل مجهوده فيه»[٧].

لذا جاء هذا البحث يرصدُ هذه الظاهرة بعنوان (**التخطيط السوي في مواجهة ظاهرة الضَّعف اللغوي**)، والباعثُ على هذا البحث أُمور، منها:

٤- رصد هذه الظاهرة، وبيان جذورها العلميّة.

٥- المشاركة في وضع تصورٍ يضعُ الحلول القريبة من طالب العربية.

٦- الإفادة من تجارب الباحثين في مواجهة ظاهرة الضعف.

وقد جاء بعد هذه المقدمة على مبحثين، وخاتمة:

المبحث الأول: الضَّعف اللغوي في العملية التعليمية.

المبحث الثاني: مواجهة الضَّعف اللغوي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

ولخطورة هذه الظاهرة (الضعف اللغوي) حملت البلدان العربية على عاتقها دراسة هذه الظاهرة في مؤتمرات وندوات ومحاضرات وملتقيات ثقافية، فمن أهم الأعمال التي يُمكن التنويه إليها:

١- ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية التي أقامتها كلية اللغة العربية في الرياض (٢٣- ١٤١٦/٥/٢٥هـ) الموافق (١٧-١٩/١٠/١٩٩٥م)

٢- (ندوة اللغة العربية والتعليم) التي أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع وزارة التعليم العالي، ووزارة التربية، ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ= ٢٢- ٢٥ تشرين الأول ٢٠٠٠م.

فعسى أن توافق هذه الكلمات قلبًا يقظًا، ونفسًا زاكية، وصدق القائل:

إنمـــا تنفـــع المقالـــة فـــي المـــر ء إذا وافقـــت هـــوى فـــي الفـــؤاد[٨]

وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المبحث الأول

الضَّعف اللغوي في العملية التعليمية

ظاهرة الضَّعف اللغوي هذه مرتبطةٌ بالضعف العلمي بصورة عامَّة، وهي تتفاوت من عصر إلى آخر، فالقدماء نبَّهوا على هذه الظاهرة، يقول ابن قتيبة: «فإنِّي رأيتُ أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين، ومن اسمه متطيِّرين، ولأهله كارهين: أمَّا النَّاشئ منهم فراغبٌ عن التعليم، والشَّادي تاركٌ للازدياد، والمتأدِّبُ في عنفوان الشباب ناسٍ أو متناسٍ؛ ليدخل في جملة المجدودين، ويخرج عن جملة المحدودين فالعلماء مغمورون، وبكرَّة الجهل مقموعون»(٩).

ويقول ابن منظور: «قد غلب، فِي هَذَا الأوان، من اخْتِلَاف الْأَلْسِنَة والألوان، حَتَّى لقد أصبح اللّحن فِي الكَلَام يعد لحنًا مردودًا، وَصَارَ النطقُ بِالعَرَبِيَّةِ من المعايب معدودًا. وتنافس الناسُ فِي تصانيف التُرجمانات فِي اللُّغَة الأعجمية، وتفاصحوا فِي غير اللُّغَة العَرَبيَّة»(١٠).

والنَّقصُ في العُلوم بدأ من زمن، يقول ابن حجر: «لا شكَّ أنَّ نقص الاشتغال بكلِّ علمٍ قد وقع بكلِّ قطرٍ» (١١).

ويقول الأُستاذ الدكتور مازن المبارك: «إنَّ الواقعَ يحكي لنا معاشر المعلمين قصَّة هذا الضعف جملة وتفصيلا، وهو ضعف عامٌّ في معظم المقررات الدراسية، ولكنَّ الضعف في اللغة العربية هو الذي يبدو للناس؛ لأنَّها الأداة التي يستعملها الطالب إذا تحدّث أو كتب، وأمَّا الضعف في غيرها فخافٍ مُستتر»(١٢).

لمَّا كان حفظ اللسان وصلاحه مما يؤمر به الإنسان، فالوقوف عند ظاهرة "الضعف اللغوي" لدى الطلبة، من الواجبات تجاه لغتنا وديننا.

ولمعرفة الداء ودوائه، نقول: العملية التعلمية تقوم على أربعة أركان: الطالب، والمدرس، والكتاب، والمنهج التعليمي.

أسباب ضعف الطالب:

قبل سرد الأسباب – التي أراها- أُقرِّرُ أنَّ الضعف راجع إلى التكوين العام في جميع المواد، فلا يمكن حصره في مادة على أُخرى؛ فمن أهم أسباب الضعف:

١. عدم تأقلم الطالب مع المرحلة الجامعية الجديدة، فما زال مرتبطا ذهنيا بالمرحلة الثانوية، وهو ضعيف علميا.

٢. الإهمال، وعدم التحضير إلا ليلة الاختبار.

٣. وهمٌ وخوفٌ حصل للطالب بسبب ما يسمعه – خاصة- عن علم النحو من الصعوبة والتعقيد.

٤. عدم الاستفسار من الأُستاذ عما هو غامض بسبب الخجل.

٥. التشاغل، وعدم متابعة شرح الأُستاذ.

أسباب تتعلق بالمدرس:

١. عدم مراعاة مستوى الطالب.

٢. الانشغال بالجانب النظري، وإهمال الجانب التطبيقي.

٣. عدم الإكثار من الأسئلة المطروحة على الطلبة.

٤. فقدان معنى التشويق، والإثارة العلمية في طرح موضوعات المادة من قبل بعض المدرسين.

٥. التكلم بالعامية، وعدم الإصرار على الكلام بالعَرَبيَّة الفصيحة.

أسباب تتعلق بالكتاب المقرر:

١. صعوبة العبارة، ودقة الصياغة.

٢. تداخل المصطلحات، أو غموضها.

٣. عدم تقسيم الكتاب إلى وحدات دراسية.

٤. موضوعات الكتاب غير مرتبة وفق المنهج المقرر.

٥. قلة التطبيقات.

٦. هجر الكتاب القديم، وعدم العناية بتدريسه وفهمه في ضوء منهج متكامل.

أسباب تتعلق بالمنهج التعليمي:

١. التحديد بساعات قليلة.

٢. الاقتصار على نوع محدد من التطبيقات.

٣. الانشغال بالنظريات الحديثة، البعيدة عن واقع لغتنا، والمخالف لأُصولها، يقول الأُستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى عن العُجمة التي دخلت إلى تحليل النص الأدبي: «فإذا قرأت تحليله الأعجم لا أفهم الشعر، ولا أفهم التحليل الأعجم، مع أنَّ الأصل هو أن

يقودني هذا التحليل إلى سر النص، وسر اللقانة التي أسكنها صاحبه فيه، وكيف أفهم كلام الذي يقول: لماذا يتم استقراء السيولوجية في البنيوية، في الميتافيزيقية، السيميائية، يتوالد بثها المتموضع، في الميتافيزيقية، بالتنامي المتماهي للمقروئية، الإشكالية، هذا واحد من التساؤلات في أُصول النقد الذي هو علم تحليل النص، وليس من كلام الموسوسين، ولا من كلام الممرورين»[١٣].

٤. إهمال مبدأ الحفظ النافع.

٥. إدخال اللهجة الدارجة في عمليتنا التعليمية.

المبحث الثاني

مواجهة الضَّعف اللغوي

أولا: ما يتعلق بالطالب:

١. أنْ يكون الطالب ذا أَهلية لطلب العلم، فعليه أنْ يصحح النية، ويأخذ بطريق الهمة، وليعرف أَهمية ما يدرس، وضرر ما يفوته. وقد قيل: (إِنّمَا يَحْفَظُ الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ)[١٤].

٢. التدرج بالطلب، فـ (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ جُمْلَةً فَاتَهُ جُمْلَةً) [١٥]، وقيل: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ إِنْ أَخَذْتَهُ بِالْمُكَابَرَةِ لَهُ غَلَبَكَ، وَلَكِنْ خُذْهُ مَعَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي أَخْذًا رَفِيقًا تَظْفَرْ بِهِ»[١٦].

٣. التحضير قبل الدرس، والمذاكرة بعده، وعدم التشاغل عن المحاضرة.

٤. الإكثار من الأسئلة الاستيضاحية، وعدم الخجل.

٥. الرجوع إلى المصادر المهمة، والجلوس مع أهل العلم.

٦. أن يجاهد نفسه بالتزام العَرَبيَّة الفصيحة في الوسط التعليمي.

٧. الانتفاع من الرفقة الصالحة الذين أخذوا بطريق العلم النافع، والعمل الطيب.

ثانيا: ما يتعلق بالمدرس:

١. النزول مع مستويات الطلبة المختلفة، والعناية بالطالب الضعيف؛ فصفة المدرس أنْ «يكون حريصًا على تعليمهم، باذلاً وسعه في تفهيمهم وتقريب الفائدة إلى أذهانهم، مهتمًا بذلك، مؤثرًا له على حوائجه ومصالحه مال لم تكن ضرورة. ولا يدَّخر في نصحهم

شيئًا، ويُفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه، فلا يعطيه ما لا يحتمله ذهنه، ولا يبسط الكلام بسطًا لا يضبطه حفظه، ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقَّة»(١٧).

٢. ترغيب الطلبة بهذا العلم، وبيان أهميته وثوابه، وفضله، وإيراد قصص عن جهود السابقين في طلبه إزالة للملل والجمود.

٣. ألا ينتقل إلى موضوع جديد قبل التأكد من فهم الطلبة للموضوع السابق.

٤. الإكثار من توجيه الأسئلة للطلبة للتأكد من فهمهم وتدريب على الإجابات السليمة، وإشراكهم في المناقشات والحوارات، وعدم التركيز على المجتهد. فقد جاء في صفة المُدرّس المجتهد أنه: «يخاطب كلَّ واحدٍ منهم على قدر درجته، وبحسب فهمه وهمته، فيكتفي للمتميز الحاذق الذي يفهم المسألة فهمًا مُحقَّقًا بالإشارة، ويوضّح لغيره – لا سيَّما متوقف الذهن– العبارة، ويكرِّرها لمن لا يفهمها إلَّا بتكرار»(١٨).

٥. الالتزام بالعَرَبيَّة الفصيحة من أكبر الواجبات، فالطالب يقتدي بأُستاذِه، وهو مؤثر لأخذ اللغة عمليا.

٦. أن يتسم المُدرس بالمشاركة، وتنوعه الثقافي مع التخصص؛ فهذا أكثر نفعا، فقد قيل: (من لم يشارك فيها – العلوم– لم يَكمُلْ في واحد) (١٩).

٧. الاهتمام بالجانب التطبيقي، فاقتران القاعدة مع تطبيقاتها أدعى لحفظها، وفهمها.

ثالثا: ما يتعلق بالكتاب:

يجب أن يتسم الكتاب بما يأتي:

١. سهولة عبارته، قال ابن كيسان: (نظرنا في كتاب سيبويه؛ فوجدناه في الموضع الذي يستحقه، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة إيضاح؛ لأنه كتاب أُلِّفَ في زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ، فاختصر على مذاهبهم) (٢٠).

٢. ترتيب الكتاب على حسب المفردات.

٣. التدرج من اليسير إلى الصعب بشكل مستساغ.

٤. تقسيم المادة العلمية في إطار وحدات موضوعية؛ حتى يتم استيعابها، وفهمها.

٥. الربط بين مفردات الكتاب، وإظهار مناسبتها.

٦. إضافة تطبيقات متنوعة لها معانٍ ذات وقع ونفع.

فلو مثَّلنا بكتاب النحو، وهو "شرح ابن عقيل" على ألفية ابن مالك، لوجدناه نافعا، ولكن المدرس يجب أن يقف عند كثير من قضاياه، منها:

أ. زيادة الأمثلة، وعدم الاكتفاء بالشواهد التي يوردها؛ فالكتاب بحاجة إلى نصوص قرآنية، وحديثية، وشعرية.

ب. الوقوف عند الحدود "المصطلحات النحوية"، وهذا يحتاج إلى نظر وتأمل من المدرس، وسأضرب لذلك أمثلة:

١. كثيرا ما يخلط الطلبة بين الوصف والصفة، فبينهما فرق مهم، وقد استعمل الوصف في الحال الذي عرفه النحاة بأنه: وصف فضلة، كما استعمل في المبتدأ الواقع بعد نفي، أو استفهام إذا كان اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو صفة مشبهة، نحو: أقائم الرجل، أمضروب أخواك، ما حسن خلقه.

ومثل هذا الوصف يعد في قوة الفعل، فهو يرفع ما بعده على أنه مغنٍ عن خبر المبتدأ الواقع وصفا(٢١).

٢. قد يتعدد المصطلح النحوي تبعا لاختلاف الأبواب النحوية، مثال ذلك: مصطلح "المفرد"، قال الفاكهي: (وللمفرد من حيث هو عند النحاة إطلاقات أربعة ، فتارة يراد به عندهم: ما يقابل المثنى والمجموع على حدة، وذلك في باب الإعراب، يقال: المفرد، أي: ما ليس مثنى ولا مجموعا... وتارة يراد به ما يقابل المضاف لما بعده، سواء كانت الإضافة لفظية، أم معنوية، أو شبهه، وهو ما لا يتم معناه إلا بانضمام شيء آخر إليه، سواء كان ذلك الشيء مرفوعا، أم منصوبا، أم مجرورا، وذلك في باب النداء، ولا التبرئة... وتارةً يراد به ما يقابل الجملة: اسمية أو فعلية، صغرى، أو كبرى، وشبهها من الظرف، والجار والمجرور، وذلك في باب المبتدأ والخبر...) (٢٢).

وقال الدكتور أحمد عبد العظيم: (لعل أكثر مصطلحات النحاة تداخلا واضطرابا وتوزعا في الأبواب هو مصطلح "مفرد"، فقد تبين لي من استخداماتهم له، ومن المقولات التي اصطلح عليها به أن ثلاثة عشر ضربا من الاستعمال الاصطلاحي توزعت بها السبل في الأبواب في كتبهم، لا يتفق ضرب منها مع آخر في الدلالة أو المقولة النحوية)(٢٣).

٣. عدم مراعاة الخلاف في المصطلح النحوي، وإطلاقاته الخاصة عند قسم من العلماء، مثال ذلك: قال ابن عقيل عن "التمييز": (ويسمى مفسِّرًا، وتفسيرًا، ومبيِّنًا، وتبيينًا، ومميِّزًا، وتمييزًا) (٢٤).

فالتفسير يطلقه الفَرَّاء على ما عرف عند البصريين باسم المفعول لأجله، ففي إعراب قول الله عز وجل: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢٥)، قال: (نصب "حذر" على غير وقوع من الفعل عليه لم ترد يجعلونها حذرا، إنما هو كقولك: أعطيتك خوفا وفرقا، فأنت لا تعطيه الخوف، وإنَّما تعطيه من أَجل الخوف، فنصبه على التفسير، ليس بالفعل، كقوله عز وجل: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾(٢٦)، وكقوله: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾(٢٧). والمعرفة والنكرة تفسران في هذا الموضع نصبه على طرح "مِنْ")(٢٨).

ويطلق الفَرَّاء اصطلاح التفسير على التمييز أيضا، يقول: (والمفسر في أكثر الكلام نكرة، كقولك: ضقت به ذرعا، وقوله: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ (٢٩)، فالفعل للذرع؛ لأنك تقول: "ضاق ذرعي به"، فلما جعلت الضيق مسندا إليك، قلت: ضقت، جاء الذرع مفسرا، لأن الضيق فيه، كما تقول: هو أوسعكم دارا، دخلت الدار لتدل على أن السعة فيها لا في الرجل)(٣٠).

فطالب العلم إذا لم ينبّه لهذا الفرق في إطلاق المصطلح، وما يعنيه يقع في الخطأ والزلل، وسوء الفهم.

ج. إظهار المناسبة بين مفردات النحو، وترتيب الأبواب النحوية في الألفية وشروحها، فابن مالك قدّم الأسماء الستة على المثنى وجمع المذكر السالم ... لعلةٍ، جاء في إرشاد السالك: (وبدأ بالأسماء الستة لوجود النيابة فيها بثلاثة أشياء عن الحركات الثلاث؛ فان الواو تنوب عن الضمة، نحو: "إني أنا أخوك"، والألف عن الفتحة، نحو: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾(٣١)، والياء عن الكسرة، نحو: ﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ ﴾ ، بخلاف غيرها من محال النيابة) (٣٢).

رابعا: المنهج التعليمي:

إذا كان المنهج العلمي رابعا فهو نظام الأركان الثلاثة المتقدمة، فعلى المنهج يلتقي الطالب والأُستاذ، لإفادة الطالب من الكتاب المقرر، ومن ضمن ضروريات المنهج:

١. يجب أن تكون الساعات الدراسية لكل فنٍّ متناسبة، وعدم الإخلال بهذا المبدأ.

٢. من أنفع الوسائل لتثبيت القواعد اللغوية – عامة–إكثار التطبيق، لا سيما النصوص القرآنية، قال الرافعي: «إنَّ هذا الكتاب الكريم أثر غيبي كان في علم الله قبل كل الأزمنة، فهو يحويها كلها وكأنه معها كلها، وبذلك يتعين أنه هداية إلهية في أسلوب إنساني يحمل في نفسه دليل إعجازه، ويكون القرآن منفردًا في التاريخ بأنه منذ أُنزل لا يبرح في كل عصر يظهر من ناحيتين صادقتين: ناحية الماضي، وناحية الحاضر. فثباته على خلاف قاعدة الثبات الإنسانية، إعجاز ليس في العجب أبدع منه إلَّا تحول معانيه على غير قاعدة التحول، إنّه وجود لغوي ركب كل ما فيه على أن يبقى خالدًا مع الإنسانية؛ فهو يدفع عن هذه اللغة العربية النسيان الذي لا يدفع عن شيء، وهذا وحده إعجاز. ثم هو لن يكون كفاء ذلك ولن يقوم به إلا إذا كان معجزًا أهل اللغة جميعًا، فتذكر به اللغة ولا يذكر هو بها؛ وبذلك يحفظها؛ إذ يكون في إعجازه مشغلة العقل البياني العربي في كل الأزمنة، يأتي الجيل من الناس ويمضي وهو باق بحقائقه ينتظر الجيل الذي يخلفه؛ كما أنه مشغلة الفكر الإنساني إذا أريد درس أسمى نظام للإنسانية في حرامها وحلالها مما تحله مصلحة الاجتماع أو تحرمه»[٣٣].

فلو مثلنا لتقدم المفعول على الفاعل بقولنا: قطفَ الوردَ طفلٌ، ولكنه لا يكون بقوة الاستشهاد[٣٤] بقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣٥] ، وقوله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[٣٧].

٣. يجب أن نعلم أنَّ الغاية من تعليم النحو هو أن يتكلم الطالب كلاما صحيحا، ويكتب كتابة صحيحة، ثم يكون قادرا على فهم علوم الإسلام، وتراثه، ومواكبة عصره بلغته.

أما أن نتناول قواعد علمنا بالتجريح والخروج عما وضعه علماؤنا إلى نظريات حديثة هي محل نظر فلا.

قال الطناحي رحمه الله: (هذا الذي انتهى إليه بعض أساتذة النحو من نقد للفكر النحوي، كان ينبغي أن يظل في مجثمه من شهاداتهم الجامعية العليا "الماجستير- والدكتوراه"، أو بحوثهم التي يعدونها لترقياتهم العلمية، لكنهم يلقون آراءهم هذه على طلبتهم في المرحلة الجامعية الأُولى "السنوات الأربع" فيحدثون عندهم بلبلة خطيرة، ويحدثنا بعض هؤلاء الطلبة أنَّ أُستاذًا يُخصص نصف المحاضرة لشرح القاعدة النحوية، ويصرف النصف الآخر لنقد ونقض هذه القاعدة، وبهذا يفرض الأُستاذ على طلبته وجهة نظرٍ خاصة ربما لا تثبت أمام النظر الصحيح، وان الواجب على الأَساتذة في هذه المرحلة من التعليم أن يعلموا طلبتهم أصول العلم ليس غير) [٣٨].

٤. الجمع بين الحفظ والفهم، فقد شاع عند كثير من المعاصرين التنفير من الحفظ، وتبغيضه إلى طلاب العَرَبيَّة[٣٩].

وقد جاء عن سفيان بن عيينة رحمه الله، أنه قال: «أَوَّلُ الْعِلْمِ الِاسْتِمَاعُ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْحِفْظُ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ الْعَمَلُ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ النَّشْرُ»[٤٠].

وكثير من السلف عندما يطلقون الحفظ، يريدون به الفهم.

فكثير من القواعد اللغوية يمكن حفظها بعبارات منظومة ومنثورة.

٥. اتباع المنهج التكاملي في تدريس علوم العَرَبيَّة، فلا انفصال بينها؛ كي تعم الفائدة، وترسيخ القاعدة، يقول الأُستاذ الدكتور مازن المبارك: «إنَّ علوم العربية كالخيوط تختلف ألوانها وكثافاتها، ولكنَّها تشترك في نسج ثوب واحد يُشكِّل جزءًا من ثقافة صاحبه، ولعلَّنا لا نغلو إذا قُلنا: إنَّ الثقافة العربية التي يكوّنها الأدب وعُلوم اللغة تُقيم في فكر المثقف توازنًا يجب الحرص عليه؛ لأنَّه واحدٌ من أهم مقومات الشخصية الثقافية للمواطن العربي المثقف، بل لأنَّه اليوم توازن يحفظه من الذوبان وينقذه من الضياع في مجتمع تغزوه الأقوام الغربية بلغاتها وثقافاتها»[٤١]. ومن مقترحات العلَّامة مازن المبارك هو التزام المنهج المتكامل في تدريس اللغة العربية، فينتج عن هذا أُمور، أهمها:

النظر إلى مقررات اللغة العربية نظرة كُليّة، تقوم على أنَّها علوم متكاملة يساعد بعضها بعضا.

توزيع مقررات اللغة العربية، وتوزيع مفردات المقررات توزيعًا يراعي تكاملها في السنة الواحدة، ومتابعة تكاملها في السنوات المتتابعة.

تخصيص درس نسميه (درس اللغة العربية)، أو قل إن شئت (درس التطبيق) يجمع علوم العربية جمعاء.

دراسة تاريخ الأدب والحديث عن عصوره وعن الحياة الاجتماعية وتراجم أعلامه يجب أن لا يطغى على دراسة الأدب نفسه(٤٢).

فالمنهج التطبيقي العام يعود بالدارس إلى الغاية المُثلى وهي الإفادة من محاضرات العربية في القراءة والكتابة، والإعراب، والفهم(٤٣)، فلو أخذنا قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ (٤٤).

- مسائل الإملاء: كتابة "قائل"، همزة "ألقوه"، همزة "إنْ"، تاء "غيابة"، وفكرة عن الرسم المصحفي.

ويدرس هنا: قاعدة الهمزة المتوسطة، همزتا الوصل والقطع، التاء المفتوحة والمربوطة.

- مسائل النحو: تعليق الجار والمجرور: "منهم"، الأفعال الخمسة "لا تقتلوا"، الممنوع من الصرف "يوسف"، الأمر إذا اتصلت به واو الجماعة "وألقوه"، ضمائر الرفع: جزم "يلتقطه"، في جواب الطلب، أحوال فعل الشرط "إن كنتم"، خبر الأفعال الناسخة، جمع المذكر السالم.
- الصرف: إعلال "قائل"، تصريف "ألقوه" وميزانه الصرفي، تصريف "كنتم" وإعلاله وميزانه الصرفي، اسم الفاعل من الثلاثي وغير الثلاثي: قائل- فاعلين، تصريف "قال" وإعلاله ووزنه.
- الإعجاز: قراءة نافع "غيابات"، والجمهور "غيابة"، ودلالة كل منهما.
- اللغة: ضبط مضارع الرباعي "ألقى"، معنى السيارة ودلالتها، الجب ومعناه.
- القراءات: يمكن الوقوف عند مفهوم القراءة المتواترة، والقراءة الشاذة، وإيراد أمثلة تخدم الطالب.

ومن خلال هذا التطبيق يعرب المدرس مع طلابه جميع ألفاظ الآية مفردات وجملا، مع التأصيل والتمثيل.

وفائدة هذا التطبيق القرآني تتضح فيما يأتي:

١. الإفادة من الدروس النظرية لمعرفة أوجه تطبيقاتها في أُسلوب القرآن البليغ.
٢. إثارة أذهان الطلبة في معرفة احتمالات الأجوبة، وتمييز الصالح من غير الصالح، أو الجائز على ضعف.
٣. إحالة الطلبة على كتب إعراب القرآن، وتشويقهم الى هذا النوع من كتب علوم القرآن واللغة في آن واحد.
٤. تدريب الطلبة على الإلقاء واستثمار معلوماتهم وقراءاتهم، حيث يمكن تكليفهم بإعداد محاضرات تطبيقية بإشراف المدرس وإلقائها على زملائهم.

وهذا المنهج المتكامل هو الشائع في كتب التفسير المبسوطة، وكتب شروح الحديث، والكتب التي اعتنت بالشعر، ولا سيّما التي تخصصت في شرح قصيدة ما.

الخاتمة

اقتراحات وتوصيات

٦. ترغيب الطلبة وإشاعة النصوص الدالة على فضيلة العلم، لا سيما علم العَرَبيَّة.

٧. الأخذ بمبدأ التدرج بالتدريس، والعناية بالطالب الضعيف.

٨. العناية بالكتاب المقرر من حيث تقريبه وكشف مشكله، وإثراء موضوعاته بالتطبيق العملي.

٩. يجب أن تتكامل المقررات، لتكوين الملكة اللغوية لدى الطالب، والإفادة من مقررات معينة، مثل: النصوص التطبيقية، والكتاب القديم.

١٠. التشجيع على القراءة الجهرية، فالفصاحة معاناة، ومزاولة تشترك فيها جميع الحواس والمدارك، ويعرف خطأ الطالب، ويستفيد السامعون من تصويب الخطأ.

١١. تشجيع الطلبة برصد جوائز للمتفوقين في علوم اللسان نهاية كل فصل؛ فذلك أدعى لتقوية الاستعداد الذي في داخله.

١٢. الاهتمام بالأبيات الشعرية ذات المعنى الرائق، وذلك لأن غالب الأبيات الموجودة في الكتب النحوية أساس اختيارها الاستشهاد النحوي، وههنا تنبغي التفرقة بين المثال والشاهد.

١٣. التزام الفصاحة من قبل المدرس واجبة، فهذا مؤثر مهم في الطالب: فمن أراد الفصاحة وسعى لها سعيها، فعليه أن يسلك مسالكها، وأن يدرج في مدارجها، وأن يتحامى عيوبها، ويجتنب آفاتها؛ ليصل -بإذن الله- إلى امتلاك ناحيتها، والتمكن من عمودها.

١٤. الاهتمام بالوسائل التعليمية المختلفة، المعتادة والحديثة، لا سيما البرامج التعليمية المحوسبة، والكتاب الالكتروني، والمواقع اللغوية والأدبية، ووسائل التواصل الاجتماعي.

هوامش البحث ومصادره:

(١) سورة الحجر، الآية: ٩ .

(٢) تدريب معلمي ومعلمات المرحلة الابتدائية: ٤٩٥ .

(٣) في اللغة والأدب: (٢/ ٥٠٣).

(٤) سورة الأنفال، من الآية: ٧٣.

(٥) مغني اللبيب: ٣٣.

(٦) شرح المزج: ١٢٧.

(٧) تلقيح الألباب على فضائل الإعراب: ٦٨.

(٨) ديوان أبي الطيب المتنبي: ٤٦١، وينظر: منهاج البلغاء: (١٢١).

(٩) أدب الكاتب: ٥ .

(١٠) لسان العرب: ١/ ٤ .

(١١) الجواهر والدرر: (١/ ٨٦).

(١٢) مقالات في العربية: ٦٣.

(١٣) قراءة في الأدب القديم: ١٠- ١١.

(١٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ٢/ ٣٨٦، برقم (١٨٤٣).

(١٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ١/ ٣٥٦، برقم (٤٥٢).

(١٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ١/ ٣٥٧، برقم (٤٥٤).

(١٧) الدر النضيد: ١٨٢.

(١٨) الدر النضيد: ١٨٥.

(١٩) القانون: (٤٢٨).

(٢٠) خزانة الأدب: (١/ ٣٧١).

(٢١) معجم المصطلحات النحوية والصرفية: (٢٤١).

(٢٢) شرح الحدود النحوية: (٢٥٧- ٢٥٨).

(٢٣) المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية: ٦.

(٢٤) شرح ابن عقيل: (١/ ٦٠١).

(٢٥) سورة البقرة، من الآية: (١٩).

(٢٦) سورة الأنبياء، من الآية: (٩٠).

(٢٧) سورة الأعراف، من الآية: (٥٥).

(٢٨) معاني القرآن: ١/ ١٧.

(٢٩) سورة النساء، من الآية: (٤).

(٣٠) معاني القرآن: (١/ ٧٩).

(٣١) سورة يوسف، من الآية: (٨١).
(٣٢) إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك: (١/ ٩٣).
(٣٣) تاريخ آداب العرب: ٢/ ١٤.
(٣٤) ينظر: في اللغة والأدب: (٢/ ٥٧).
(٣٥) سورة البقرة، من الآية: (١٢٤).
(٣٦) سورة الحج، من الآية: (٣٧).
(٣٧) سورة فاطر، من الآية: (٢٨).
(٣٨) في اللغة والأدب: (٢/ ٥١٤- ٥١٥).
(٣٩) في اللغة والأدب: (٢/ ٥٢٤).
(٤٠) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٤٧٦، برقم (٧٥٩).
(٤١) مقالات في العربية: ٦٥.
(٤٢) ينظر: مقالات في العربية: ٧٨- ٧٩.
(٤٣) ينظر: التطبيق اللغوي أثره ووسائل تحقيقه: ٣/ ٢٢٣- ٢٢٦.
(٤٤) سورة يوسف، الآية: (١٠).

المصادر والمراجع

١. **أدب الكاتب:** عبدالله بن مسلم بن قُتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/٢، ١٤٢٠هـ.
٢. إرشاد السالك إلى حلّ ألفية ابن مالك: ابراهيم بن محمد، برهان الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٦٧هـ)، تحقيق: د. محمد بن عوض السهلي، أضواء السلف- الرياض، ط/١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
٣. تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط/٦، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.
٤. **تدريب معلمي ومعلمات المرحلة الابتدائية ومربيات رياض الأطفال على تعليم المحادثة باللغة العربية الفصحى:** د. عبدالله مصطفى الدنان، نشر في (ندوة اللغة العربية والتعليم) التي أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع وزارة التعليم العالي، ووزارة التربية، ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١ هـ= ٢٢- ٢٥ تشرين الأول ٢٠٠٠م.
٥. التطبيق اللغوي أثره ووسائل تحقيقه: أ.د. أحمد بن محمد الخرَّاط، بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية (٢٣- ١٤١٦/٥/٢٥هـ) الموافق (١٧-١٩/١٠/١٩٩٥م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م.
٦. تلقيح الألباب على فضائل الإعراب: محمد بن عبد الملك، أبو بكر ابن السرَّاج الشنتريني (ت: ٥٤٩هـ)، تحقيق: أحمد حسن إسماعيل، جدارا للكتاب العالمي- عمَّان، وعالم الكتب الحديث- إربد، ط/١، ٢٠٠٦م.
٧. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع:** أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/٢، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٨. **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر:** محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، تحقيق: إبراهيم باجس، دار ابن حزم، ط/١، ١٤١٩هـ.

٩. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:** عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ودار الرفاعي- الرياض، ط/١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٠. **الدُّر النضيد في أدب المفيد والمستفيد:** محمد بن محمد الغزي (ت: ٩٨٤هـ)، تحقيق: نشأة بن كمال المصري، مكتبة التوعية الإسلامية، مصر، ط/١، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٦م.

١١. ديوان أبي الطيب المتنبي (أحمد بن الحسين (ت: ٣٥٤ هـ))، صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها: د. عبد الوهاب عزَّام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، ١٣٦٣هـ= ١٩٤٩م.

١٢. شرح الحدود النحوية: عبدالله بن أحمد، جمال الدين الفاكهي (ت: ٩٧٢هـ)، تحقيق: د. صالح بن حسين العايد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ= ١٩٩٠م.

١٣. شرح المزج، أو شرح مغني اللبيب: محمد بن أبي بكر الدماميني (ت: ٨٢٨هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الحافظ حسن مصطفى العسيلي، مكتبة الآداب- القاهرة، ط/١، ١٤٢٩ه= ٢٠٠٨م.

١٤. **في اللغة والأدب دراسات وبحوث:** د. محمود محمد الطناحي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط/١، ٢٠٠٢م.

١٥. **القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحاكم المتعلم:** الحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق: حميد حماني، مطبعة شالة – الرباط، ط/١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

١٦. **قراءة في الأدب القديم:** أ.د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، ط/٤، ١٤٣٣ هـ= ٢٠١٢م.

١٧. **لسان العرب:** محمد بن مكرم، ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار عالم الكتب- الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٨. المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية: د. أحمد عبد العظيم عبد الغني، دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.

١٩. معاني القرآن: يحيى بن زياد، أبو زكريا الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب- بيروت، ط/٣، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٠. **معجم المصطلحات النحوية والصرفية:** د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة- بيروت، دار الفرقان- عمَّان، ط/١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٢١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: عبدالله بن يوسف، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله، دار الفكر- بيروت، ط/١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٢. مقالات في العربية: مازن المبارك، دار البشائر- دمشق، ط/١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٣. منهاج البلغاء وسراج الأُدباء: أبو الحسن، حازم القرطاجني (ت: ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط/٤، ٢٠٠٧م.